

أضواء البيان

@ 80 @ صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب في سورة الشعراء : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً }
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ } ، وقوله في قوم موسى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَى } ، وقوله : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنِ خَافَ
عَذَابَ الْآخِرَةِ } ، وقوله : { أَهْهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُيُوعٍ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ أَهْلًا كَذَاهُمْ } ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على تخويفهم بما
وقع لمن قبلهم . .

الجهة الثانية أن هذه القرون تعرضت لبيانها آيات أخر . فبينت كيفية إهلاك قوم نوح ،
وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب ، وفرعون وقومه من قوم موسى ، وذلك مذكور
في مواضع متعددة معلومة من كتاب الله تعالى . وبين أن تلك القرون كثيرة في قوله : {
وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } وبين
في موضع آخر : أن منها ما لا يعلمه إلا الله جل وعلا ، وذلك في قوله في سورة إبراهيم {
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ } . وبين في موضعين آخرين
أن رسلهم منهم من قص خبره على نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من لم يقصمه عليه . وهما
قوله في سورة النساء : { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَكَذَلِكَ نَقُصُّهُمْ عَلَىٰ تَكْوِيلِمَا } ، وقوله في سورة
المؤمن : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَاهُمْ
عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَمَا كَانَ لِرَّسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } . الجهة الثالثة أن قوله { مِنْ بَعْدِ نُوحٍ } يدل
على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام . كما قال ابن عباس : كانت بين
آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام نقله عنه ابن كثير في تفسير هذه الآية . .
وهذا المعنى تدل عليه آيات أخر . كقوله { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً }
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ } ، وقوله . { وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا } . لأن معنى ذلك على أصح الأقوال أنهم
كانوا على طريق الإسلام ، حتى وقع ما وقع من قوم نوح من الكفر . فبعث الله النبيين يبينون
عن ذلك الكفر ، مبشرين من أطاعهم بالجنة ، ومنذرين من عصاهم بالنار . وأولهم في ذلك
نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

